

معرفة النمط النصي ضرورية لكنها لا تكفي لتحديد الاستراتيجية الامثل

للترجمة:

"الخطاب الاقتصادي أغودجا"

ليلي ليمش

جامعة قسنطينة 1

مدخل: لقد حظي النص، منذ ظهور اللسانيات النصية، باهتمام خاص لدى اللسانيين كما كان محور دراسات هامة و رائدة، حيث انشغل علماء النص بتقسيم النصوص حسب خصائصها البنائية و المعجمية إلى أنواع وأنماط و أصناف و فئات، لما لذلك من فوائد تطبيقية في ميادين عديدة. أما في مجال الترجمة فإن لهذا التقسيم أو التصنيف للنصوص أهمية بالغة لا يمكن بأي جال إغفالها - خاصة في مجال الترجمة المتخصصة- ذلك أن كل غلط نصي يرتبط بآليات خاصة في الترجمة. و قد نهل منظرو الترجمة من علوم و لسانيات النص الكثير بغية وضع تقسيمات للنصوص بما يتلاءم مع عملية الترجمة و يخدم مجالاتها.

1- تصنيف النصوص عند اللسانيين:

❖ أهمية التصنيف:

إن تحديد خصائص أنواع النصوص له فوائد عديدة، منها ما يراه "ج. فيقنار" من أن "التعامل الموضوعي مع النص لفهمه و للوقوف على مظاهر الإبداع فيه، لا يتم إلا إذا كان هذا النص خاضعا في اشتغاله لقوانين أو مواصفات النوع الذي ينتمي إليه". كما يرى أن "رصد ملامح النوع من قبل القارئ، يعني بالنسبة إليه، إمكانية تنظيم قراءته وفق خط معين من التوقعات، و ذلك على أساس معرفته السابقة ببعض قوانين النوع". و عليه سواء أكان التصنيف دقيقا أم غير دقيق، فإن ما ليس فيه اختلاف، هو وجود بعض الخصائص الشكلية و المعجمية و البنائية القارة في كل نوع. و معرفتنا بأنواع النصوص و الوقوف على خصائصها و

طرائق انتظامها و اشتغالها، من شأنه أن يمكننا من وضع و إتباع استراتيجيات معينة للقراءة حسب طبيعة كل نوع.

❖ بين النص و الخطاب:

إن تعريف النص كوحدة لغوية، ليس أسهل من تعريف الجملة. و من أهم تعريفات "النص" ذلك الذي وضعه اللغوي الألماني "هارلد وينريش" وجاء فيه أن النص: "كل يشتمل على عدد من العناصر التي ترتبط فيما بينها بعلاقة تبعية متبادلة. و تأتي هذه العناصر أو مجموعات العناصر متتابعة في نظام منسجم و حصيف. تسهم كل قطعة نصية فيه في توضيح القطعة التي تليها، و تسهم هذه الأخيرة بدورها في توضيح سابقتها". و معنى ذلك أن النص كيان مهيكل. و هو ما يجعله يتميز ببنية خاصة تقوم على ما بداخله من علاقات بين مكوناته: أي أن كل عنصر في النص (جملة أو عبارة) يعتمد دائما على عنصر آخر، كأن يفترض أحدهما الآخر، أو كأن لا يدرك معنى الواحد منهما إلا بالعودة إلى الثاني. و كان "عبد السلام المسدي" قد تكلم قبل ذلك بكثير، عن الخاصية البنوية للنص، حيث قال فيه: "هو كيان عضوي يحدده انسجام نوعي ناتج عن علاقة التناسب القائمة بين أجزائه. ذلك أن النص إنما هو موجود نعالجه معالجة الموجودات الأخرى، هو موجود تركيبي، بمعنى أنه جملة من العلاقات المكتفية بذاتها حتى لتكاد تكون مغلقة". و من اللغويين من يراعي، في تعريفه للنص، بعده التواصلية إلى جانب الأبعاد الأخرى، فيرى في النص وحدة لغوية لها خصوصياتها في البناء، و في العمليات الكامنة وراءها من أجل تبليغ معلومات. و هذا ما يدعو إلى أن نأخذ بعين الاعتبار غائية النص في كل معالجة نصية. يقول "أحمد عفيفي" في ذلك: "و إذن لا نستطيع تناول النص من خلال وصفه بأنه ذو وحدات كبرى أو جمل متوالية، إلا إذا وجدت خاصيته الأولى، و هي كونه وارد في الاتصال. و لعل هذا ما جعل "دي بوجراند" يؤكد تلك الصفة المميزة للنص، و هي وقوعه في الاتصال

، أيا كان حجم النص، كلمة أم جملة أم شبه جملة...الخ. و من هذا المنظور يشمل النص كل أنواع النصوص المتداولة في المجتمع، بغض النظر عن طولها أو قصرها، كالأمثال و الحوارات، و المحادثات، و الخطابات، و القصص و الروايات...الخ و يجدر بنا في هذا المقام أن نغيز، في عجالة، بين مصطلحي "نص" و "خطاب"، في محاولة لإزالة أي غموض أو التباس قد يلحق هذين المفهومين. فعموما يكاد يجمع أغلب اللغويين على أن النص يمثل الشكل المجرد للخطاب، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص. يقول "الزناد" في ذلك: "و بعضهم يفرق بين "النص" هو كائن فيزيائي منجز، و "خطاب" هو موطن التفاعل و الوجه المتحرك فيه، و يتمثل في التعبير و التأويل".

و قد يتضح الفرق أكثر بإجراء موازنة بين كل من "علم النص" و "تحليل الخطاب". فيعرف الأول بأنه "العلم الذي يصف النظام الداخلي للنص و طريقة بنائه و وظيفة كل جزء فيه". بينما يعرف تحليل الخطاب بأنه " دراسة النص في علاقته مع ظروف إنتاجه (سياقه)". غير أن أكبر علماء هذين التخصصين (علم النص و تحليل الخطاب) لا يفرقون غالبا بين هذين المصطلحين. كما يؤكدون على ضرورة أن تشمل الدراسة الجانبين معا، أي النص و السياق. و خلاصة ما تقدم أن النص لا يعرف فقط، بأنه توالي أو تسلسل عدد من الجمل (و هذا ليس حتميا)، و لا أيضا بأنه وحدة لغوية تتجاوز مستوى الجملة. و إنما يعرف بأنه "وحدة لغوية في الاستعمال"، و هو ما يقتضي أن نأخذ بعين الاعتبار ارتباط الخطاب بسياقه (مقام التلطف، مرجعية الخطاب...).

❖ تعريف التنميط أو التصنيف:

تجدر الإشارة إلى أن اللسانيين ومنظري الترجمة الذين تناولوا التنميط في دراساتهم و أبحاثهم قد اهتموا بتنميط النصوص دون الاهتمام بتعريف هذه العبارة، وقد يكون "إيزنبرج" الوحيد الذي تحدث عن هذه النقطة بأن تطرق إلى

أدنى العناصر التي يجب أن يحتويها الترميز قبل التعمق في الموضوع، وفي ذلك يقول:

" يفهم ترميز النصوص، على أنه مركب ملفوظات حول نصوص يحوي، على الأقل، العناصر الآتية:

- تحديد عام لمجال تطبيقه.

- أساس للترميز، وهو معيار (مركب إن أمكن) يمكن، وفقا له، تمييز أنماط النص التي يجب تحديدها.

- مجموعة مرنة ومحدودة من أنماط النصوص، مُعرفة على أساس الترميز.

- لكل نمط نصي معين "ن"، تمييز دقيق لبـ "ن"، أي وصف لكل الانتظامات النصية المعنية لبـ "ن"، غير الواردة في تعريف "ن" و، عموما، هي غير صالحة لأي من أنماط النصوص الأخرى.

- مجموعة مبادئ تطبيقية تبين كيف يمكن لأنماط النص أن تكون على علاقة بالنصوص التي يمكن ملاحظتها بشكل منعزل، أو كيف يجب تنظيم النصوص المنعزلة في أنماط النص المعرفة في الترميز".

❖ بين "النوع" و "الصنف" و "الفئة" و "النمط":

تظهر أية محاولة لتصنيف النصوص وكأنها مشكل شائك، لأنه في مختلف محاولات وصف وتعريف بعض المفاهيم مثل النص ونمط النص وصنف النص ونوع النص وفئة النص والمجال النصي... الخ، تغيب المنهجية في استعمال الصفات، رغم أن هذه الظاهرة ذات أهمية حيوية بالنسبة لكثير من مجالات اللسانيات و تطبيقاتها.

- نوع النص: هو شكل اصطلاحي من النصوص يقترن بمناسبة معينة وينتمي إلى مجال معين وله صيغة نصية ووظيفة ومرسل ومتلقي و خاصيات نصية اصطلاحية، وهو بدوره أنواع فمنه الكتابي ومنه السمعي البصري ومنه الشفوي، و قد ينقسم أيضا إلى أنواع فرعية.

- صنف النص: هو مجموعة من النصوص تم جمعها بطريقة حكيمة ومناسبة تصلح لتصنيف النصوص، كما أنه شكل من أشكال النص تسود فيه وظيفة ما ويمكن تحديد خاصياته وميزاته التي لا تكون صالحة لكل النصوص.

- فئة النص: هي عبارة عن مجموعة من النصوص تم تحديدها وإدراجها في فئة بناء على الأشكال الأساسية والكلية التي تحكم تشكيلها في الاتصال الإنساني علما بأن عملية التصنيف متوقفة على كمية وطبيعة المستويات التي يتم فيها تقنين النص.

- أما نمط النص: فعلى العكس مما سبق يفهم على أنه عبارة مرتبطة بالنظرية في التصنيف العلمي للنصوص الذي يرتبط بصيغة ظاهرة في النصوص، توصف وتحدد في إطار تميظ النص أو المحادثة— فلدى المتكلمين في الجماعة البشرية تبعاً لذلك معرفة بأنواع النص أو معرفة بالأبنية الكلية للنص، غير أنه ليست لديهم معرفة بأنماط النص. ومعنى ذلك أن لأنماط النص سمات أساسية وهي تلك التي تبين ما هو النوع (مثلاً، ما هي الحكاية، ما هي الدعوة، ما هو الوصف، ما هو البيان الرسمي، الخ). وتلك التي تسمح، عن طريق الاختلافات الوظيفية، بتحديد التقابلات الجدولية بين الأنواع؛ مثلاً ما هو الفرق بين الأمر والنصيحة، بين التفسير والتبرير، بين الحديث والمناقشة، بين الطلب والتوسل، بين الأمر والإنذار النهائي، بين الرد والجواب، الخ. إنها في الأخير السمات التي يتعرف من خلالها المتحدثون فوراً وحسباً على الأنواع في أحداثهم الكلامية وفي الأحداث الكلامية للغير.

و خلاصة القول إن هناك خلطاً في استعمال المصطلحات حيث أن "إيزنبرج" و "رايس" و "فرمير" على سبيل المثال يعتبرون نمط النص كصنف نص، كما يتضح أن هذه التعريفات متكاملة نوعاً ما رغم اختلاف آراء واضعيها فنمط النص أمر نظري وتطبيقي في آن واحد؛ وبالرغم من عدم معرفة المتكلم به على

حد قول "هاينه مان" و "فيهفجر" إلا أنه يستعمله ويميّزه عن غيره، إما على أساس المقاصد التواصلية أو على أساس الوظيفة المهيمنة في النص أو بناء على سمات أخرى مثل الأسلوب والمحتوى الدلالي للنص أو بناء أيضا على القواعد التي يخضع لها نمط النص والتي تحكم في شكله و في السياقات التي يستعمل فيها و بنيتيه الأسلوبية والبلاغية.

❖ أهم تصنيفات النصوص:

* التصنيف الفطري:

إن انتماء النصوص إلى أنواع متميزة أمر لا شك فيه، و أي قارئ عادي يستطيع فرز و تصنيف مجموعة من النصوص المختلفة - كما أشرنا أعلاه-، و إن يكن اعتماده في ذلك على مؤشرات بسيطة؛ كأن يعرف أن الأمر يتعلق بحكاية أم بمقال صحفي من خلال بعض المؤشرات التركيبية و المعجمية، أو بمقالة علمية من خلال مجموعة المصطلحات المعتمدة، و طريقة الاستدلال بها.

* التصنيف العلمي المعياري:

على الرغم من عدم إنكار علم النص للتصنيف الفطري، إلا أنه وضع معايير أكثر دقة، تصنف على أساسها مختلف النصوص و الخطابات. إذ يعد تصنيف النصوص إلى أنواع حسب خصائصها البنائية و المعجمية، من الانشغالات الأساسية لعلماء النص، و من أهم التصنيفات التي وضعت للنصوص نورد ما يلي:

أ- تصنيف النصوص على أساس وظيفي تواصلية:

و هو يركز على الوظيفة اللغوية المهيمنة في النص. و المرجع الأساسي لهذا التصنيف هو "رومان جاكسون" (1963) الذي ميز بين مختلف النصوص بحسب الوظيفة الأكثر بروزا فيها:

- نصوص تهيمن فيها الوظيفة المرجعية: يأتي فيها عرض لمعلومات أو أخبار. فهي نصوص إعلامية إخبارية بدرجة أولى.

- نصوص ذات طابع تأثيري: يكون التركيز فيها على المتلقي من أجل إقناعه و التأثير فيه، و تكثر فيها صيغ الخطاب و الطلب.

- نصوص ذات طابع انتباهي: تهدف أساسا إلى الحفاظ على استمرارية التواصل و مراقبة مدى فعاليته و نجاعته. كما تولي عناية خاصة لتسلسل النص و ترابطه حتى يتمكن المتلقي من متابعته.

- نصوص ذات طابع معلمي أو لغوي صرف: يأتي التركيز فيها على وسيلة الاتصال من حيث وضوحها، و حسن أدائها لوظيفتها. و تتجسد في شرح المتكلم و تبسيطه لبعض عباراته أو كلماته.

- نصوص ذات طابع إنشائي: و هي النصوص التي يكون الاهتمام منصبا فيها على الجانب الشكلي، كتحمين التراكيب و انتقاء الكلمات بما يكسبها طابعا جماليا. و هنا نشير إلى أن الاتجاه البنيوي، و من بعده التواصل، قد وظفا تصنيف "جاكسون" في التمييز بين النصوص و تحليلها.

ب- التصنيف السياقي أو المؤسسي:

و هذا التصنيف، ذو طابع اجتماعي، باعتباره يركز على الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها النص. و قد تمخض عن هذا التصنيف، ما هو متداول حاليا من تمييز بين النصوص الإعلامية و الاقتصادية المالية و الدينية و الإشهارية و الإدارية و غيرها. و كما هو واضح فكل نوع من هذه الأنواع بالإمكان رده إلى المؤسسة الاجتماعية التي صدر عنها.

ج- التصنيف حسب العملية الذهنية الموظفة في النص:

يميز هذا التصنيف بين أنواع النصوص حسب العمليات الذهنية أو العقلية التي توظف في النص أكثر من غيرها، كالاستدلال أو الشرح أو العرض أو السرد أو غيرها من العمليات:

- النص الحجاجي: هو نص تُستعمل فيه الحجج والأدلة والبراهين وتعارض فيه الآراء وتتناور كما تتعدد فيه الأصوات. وتمثل الغاية من هذا النص في جعل الأمور تتخذ وجهة تخدم مصالح منتج النص، بمعنى أن النية أو القصد في هذا النوع من الخطاب، هو تغيير اعتقاد يفترض وجوده لدى المتلقي، باعتقاد آخر يرى المرسل أنه الأصح. كما ينطلق الحجاج في النص من مبدأ أن للقارئ أو السامع رأيا حول القضية المطروحة أو موضوع الكلام. و يهدف في النهاية إلى الإقناع. و تطرّد في هذا النوع من النصوص علاقات معينة، مثل العلية و السببية و التعارض و غيرها. و أما الاتساق فيتركز فيه على التكرير و التوازي و التبيين. و لما كان هذا النوع من النصوص يستند كثيرا إلى الحجج و الأدلة، فإنه يتعين توظيف هذه الأخيرة و تقديمها مرتبة حسب أهميتها.

- النص الإعلامي: إن الغاية في هذا النوع من النصوص هي تقديم معلومات و معارف حول موضوع معين يفترض أن المتلقي يجهلها، أو ليست لديه معلومات كافية حوله. و من هنا تأتي ضرورة تخلل هذا النوع من النصوص مهارة ذهنية أخرى هي الشرح، و ما يتطلب ذلك من تقديم للحجج و الأدلة و الأمثلة التوضيحية. و معلوم هنا أن بعض الأفكار فقط تكون في حاجة إلى الشرح و التفصيل. و يكون ذلك بتقديم المعلومة، شرحها، تقديم الدليل ثم ذكر المثال التوضيحي (بالمثال يتضح المقال).

- النص السردى: هو نص تفسيري تمثل وظيفته في عرض المواضيع والأعمال والأشياء في الزمن. يحيل السرد على واقع تجري فيه أحداث معينة في إطار زمني معين. يبين فيه الذي يحكي كيف تتحول الأحداث، وكيف تتطور عبر الزمن. و عادة ما يشتمل الخطاب السردى على ثلاثة مراحل: الحالة الأولية، التحولات الطارئة، و الحالة النهائية. كما يشتمل أيضا، على تدرج معين تفرضه مجريات الأحداث و تعاقبها. و من خصائص السرد أيضا اشتماله على قدر معين من المؤشرات الزمانية، و كذلك على روابط جمالية خاصة به مثل: بعد ذلك، قبل ذلك، ثم...

- النص الوصفى : هو نص تفسيري تمثل وظيفته في عرض المواضيع والأشياء والأوضاع وتمييزها في الفضاء. و يعكس الوصف واقعا فيه إدراك كلي و آني للعناصر المكونة لهذا الواقع، و كيفية انتظامها في الفضاء أو المكان الذي توجد فيه. و قد يكون الأمر متعلقا بموجودات جمادية أو بأشخاص أو بغيرها. كما يتمثل الوصف في محاولة نقل هذا الواقع بجزئياته و تفاصيله. و يعتمد بناء هذا النص على الانطلاق في الوصف من أقرب نقطة إلى أبعد نقطة، من الأسفل إلى الأعلى أو العكس، و من اليمين إلى اليسار. و يتعين في جميع الحالات ألا يكون هناك قفز أو انتقال مفاجئ من نقطة إلى أخرى لا رابط طبيعي بينهما. و لا مناص أيضا للوصف من إجراء اختيارات معينة بخصوص ذكر بعض التفاصيل أو تجاوزها. كما يشير إلى حضوره في المكان أو يتغاضى عن ذلك. و بإمكانه أيضا أن يكون حاضرا في النص من خلال التقييم أو إبداء الرأي. و يشتمل الوصف على مؤشرات مكانية (على اليمين، على الشمال، إلى جانب، فوق...)، كما يختلف النوعان أيضا في توظيف الأزمنة الفعلية.

صعوبة التصنيف، و تداخل الوظائف في النص:

إن عملية تصنيف النصوص ليست بالأمر الهين على الإطلاق، فهي لا تخلو من الصعوبات والقيود لمسبين أساسيين هما:

- العدد الهائل الذي لا حصر له للنصوص المتداولة في المجتمع، و منه حسب "فان دايك" المحادثات اليومية و الأحاديث العلاجية و المواد الصحفية و الحكايات و القصص و القصائد و نصوص الدعاية و الخطب و إرشادات الاستعمال و الكتب المدرسية و الكتابات و النقوش و نصوص القانون و التعليمات و ما أشبه.
- مهما كان النوع أو الصنف الذي ينتمي إليه النص، يندر جدا أن يكون متجانسا؛ إذ غالبا ما يشتمل على مقاطع مختلفة تتراوح بين السرد و الوصف و الشرح. و هذا ما يعرف بتعدد الوظائف في النص الواحد.

لقد قام اللسانيون بإعداد تنميطات للنصوص من أنواع شتى، وكثيرون هم الذين صنفوا أنماط النصوص حسب الوظائف النصية، إلا أن منهم من تحدث عن ظهور وظيفتين أو أكثر في نص واحد، و قال بظهور تتابع للوظائف الحجاجية و السردية و الوصفية في النصوص، و التي سموها بالنصوص "المختلطة" مع وجود وظيفة مهيمنة ". و قد كان "رومان جاكبسون" سباقا إلى ذلك، عندما انتهى، في تصنيفه لوظائف اللغة، إلى التداخل الذي يحصل بين هذه الوظائف في أثناء الكلام، بحيث يتعذر أن نجد نصا يحتوي على وظيفة لغوية واحدة. و النتيجة نفسها انتهى إليها "ج.م.آدم" بخصوص أنواع النصوص؛ حيث يرى أن هذه الأخيرة غير متجانسة. و يتجلى عدم تجانسها في أننا نجد في الفقرة الواحدة، بل أحيانا في الجملة الواحدة، تداخلا بين بنية سردية و بنية وصفية. لذلك فهو يقترح تحديدا مغايرا على أساس النظر في طبيعة المقاطع المكونة له، و مدى هيمنة أحدها أكثر من غيره في النص كما يلي:

- نصوص يغلب عليها الطابع الحجاجي: كالمداخلات العلمية و المحاضرات و التقارير.
- نصوص يغلب عليها الطابع الإعلامي الإخباري: كالمناشير و الوثائق و التعليمات الإدارية، و نصوص كفاءات الاستعمال...
- نصوص يغلب عليها الطابع السردى، كالروايات و السّير و المذكرات و التحقيقات و المحاضر.
- نصوص يغلب عليها الطابع الوصفى، كالقصص، و الروبورتاجات، و عرض التجارب و المذكرات.
- و الجدير بالذكر في هذا المقام هو أن من العلماء أيضا من تجاهل تماما تعدد الوظائف أو اعتبره أمرا استثنائيا. كما أن ما أتينا على ذكره من أنواع نصية، ليس سوى عينة محدودة؛ إذ هناك أنواع نصية أخرى، و تصنيفات مغايرة لا يسعنا هنا التطرق إليها.

3- تصنيف النصوص عند منظري الترجمة:

❖ أهمية التصنيف:

لا يخفى على أحد أن النص هو الأداة الأكثر استعمالا لتدريس الترجمة و لممارسة الترجمة أيضا إن لم يكن الأداة الوحيدة في بعض الأحيان، و عليه فإن النص مهم للغاية في تكوين المترجم. و يؤكد "تيتوف" أن النص عنصر هام في الترجمة و معرفة أنواعه لا تقل أهمية عن ذلك، حيث يرى أن "أهمية معرفة الأنواع في الترجمة تكمن في أن لكل نوع من النصوص بنيات تواصلية و معرفية معينة و أن معرفتها تسهل الترجمة المتخصصة. و إن كانت تسهل الترجمة المتخصصة، فما المانع من أن تسهل الترجمة بشكل عام؟ ومن جهته، يعلل "لوريدا" أهمية معرفة أنماط النصوص بأن "لكل نمط نصي جملة من الخصائص التي تميّزه عن غيره من النصوص

وتفترض معرفة هذه الميزات الخاصة أن يتعلّم المتحدثون كيف يتعرفون على أنماط النصّ وتعيين وحدة لها وكيف يستعملونها للتعبير عن تطلّعاتهم".

و في محاولة لتحديد مراحل عملية الترجمة بالتدقيق وخطوة خطوة، يتحدث "ليون" كخطوة أولى عن "التطرق إلى النص" أو "التعرض للنص"، وهي مرحلة تتمثل حسب رأيه في قراءة كافية للنص تسمح بتصنيفه أي بمعنى آخر معرفة "مفتاحه" و "سجله"، وهو ما يسمى أحياناً "الغوص في النص" ويمكن وصفه على أنه تحليل للأصل عن طريق عناصر شكلية وأساسية وبنائية. ويضيف "ماريو ليون" بأن ضرورة معرفة مفتاح و سجل النص تكمن في كونها تسمح بمعرفة الدقة والوضوح والأسلوب الضروريين خلال ترجمة هذا النص بالذات. و "مفتاح النص"، ببساطة، هو مقصوديته، هو الشكل الذي صاغه به الكاتب تبعاً للأهداف التي حاول التوصل إليها من خلال ذلك النص. أما "السجل" فيحدد نوع مدلول ومجال وموضوع المصطلحات التي يستعملها كاتب النص الأصلي.

كذلك، يعتبر "رايس" و "فرمير" تصنيف النصوص المصدر أمراً ضرورياً ومبرراً من وجهة نظر ترجمة لسببين اثنين: أولهما، أنه من الضروري معرفة وظيفة النص المصدر ومكانته في الثقافة المصدر للتمكن من الإلمام بمعنى وقيمة العناصر النصية الفردية في تشكيل النص، ففئة النص تحدّد الاستراتيجيات الترجمة فيما يتعلق بهذه العناصر النصية. و ثانيهما، أنه لا يمكن الانطلاق، في الترجمة، من فرضية أنه سيكون أو يجب أن يكون أو يمكن أن يكون للنص الهدف بالضرورة نفس وظيفة النص المصدر في العمل التواصلية.

❖ النص عند منظري الترجمة:

لقد أورد منظرو الترجمة عديد التعريفات للنص، باعتباره أداة لا غنى عنها في عمل المترجم و في مجال الترجمة عموماً. و من أهم هذه التعريفات ذلك الذي وضعه "دوليل" و "باستين"، فالنص حسبهما هو "كل إنتاج كتابي طويل نوعاً ما يشكل مجموعة موحدة و يستعمل لتبليغ رسالة من خلال الخطاب". و يعرفه "حاتم" و "ميسن" على أنه: " مجموعة وظائف تواصلية مهمة فيما بينها، تم بناؤها للتوصل إلى هدف بلاغي". و بالإضافة إلى عنصر الاتصال، تضيف "أورتادو ألبير" عناصر أخرى في تعريفها للنص حيث تقول: "النص هو وحدة اعتبارية أساسية، نتاج النشاط التواصلية الإنساني (أياً كان الشكل الذي يظهر به :شفويا، كتابيا، تصويريا، الخ) يكتسبه طابع اجتماعي؛ يتميز بملاءمته للسياق التواصلية، والترابط التكاملية والترابط النسقي. و يتم تصويره كوحدة تم بناؤها في شكل وحدات كبرى و وحدات صغرى وظيفية".

❖ أهم التصنيفات:

تقدم اللسانيات للمتخصص بالترجمة من جانبيها التطبيقي أو النظري، نظاماً لتصنيف النصوص حسب الوظائف و الأساليب و المرسل إليهم الخ. و يسهل نظام التصنيف هذا عمليتي فك الرموز وتحليل الخطاب اللتين تسبقان الترجمة. أما عملية الترميز عند منظري الترجمة فهي تتم وفق أسس مختلفة، و هذا ما يؤكد "دوليل" و "باستين" بالقول إنه يمكن تصنيف النصوص على النحو الآتي:

– تبعاً للمجالات: نصوص إدارية، تجارية، تقنية-علمية، صحفية، أدبية، توراتية، قانونية.

– تبعاً للأنواع: تقارير، مقدمات، كتب مدرسية، مطويات سياحية، روايات، حكايات، منشآت، تعليمات صيانة، توجيهات إدارية.

- وتبعا للغاية :منها نصوص وصفية و سردية و حجاجية.

و سنركز في هذا العنصر تحديدا على تصنيف كل من "رايس" و "كولر" لأهميتهما و شيوعهما في مجال الترجمة.

أ- تصنيف "كولر":

تعددت الأسس التي ارتكز عليها "كولر" في اقتراحه لتنميط النصوص، فهو قدم اقتراحا يوسع فيه مجموعة المعايير لتصنيف النصوص و يحدد خمسة مجالات هامة للترجمة. فاعتبارا لوظائف اللغة، يفرق بين النصوص:

• حسب الوظيفة المهيمنة فيها كما يلي:

- نصوص علمية وتقنية (الوظيفة التمثيلية)؛

- نصوص أدبية (الوظيفة التعبيرية)؛

- نصوص إخبارية (الوظيفة الندائية)؛

• و حسب المضمون يفرق بين:

- نصوص متعلقة بطريقة خاصة بالسياق الثقافي والتاريخي والاقتصادي للغة المصدر (علمية وتقنية)؛

- نصوص تنتمي إلى مجال خاص للغة المصدر أو تتطرق إلى مواضيع خاصة للغة المصدر (نصوص ثقافية)؛

- نصوص رغم تشابكها في سياق اللغة المصدر إلا أنها مفهومة لوضوح هذا السياق بشكل كاف في النص (تقارير عن أسفار)؛

- نصوص ذات سياق محدد خاص باللغة المصدر ولكن يمكن إعادة تركيب هذا الأخير خلال النص (نصوص أدبية).

• و تسمح له الخصائص الأسلوبية بالتفريق بين:

- نصوص تتطرق في الغالب إلى وسائل أسلوبية (نصوص أدبية)؛

- نصوص محايدة (إخبارية)؛
- نصوص تتواجد في موقع وسط.
- و اعتبارا للجوانب الشكلية والجمالية يفرق بين:
 - نصوص تستعمل وسائل خاصة (القافية، الإيقاع، مثلما يحدث في الشعر الغنائي و الدراما)؛
 - نصوص لا تستعمل هذه الوسائل (باقي الأدب).
- و في الأخير، تسمح الخصائص التداولية بإيجاد فروق بين:
 - نصوص موجهة لمجموعة خاصة من المتلقين في اللغة المصدر (مثل النصوص القانونية)؛
 - نصوص موجهة لمجموعة خاصة من القراء في اللغة المصدر، إلا أنه يمكن نقلها إلى متلقين من لغات أخرى (نصوص أدبية)؛
 - نصوص ليس لها مجموعة خاصة من المتلقين (نصوص علمية وتقنية)؛
 - نصوص أُعدت لغرض الترجمة (إشهار في الخارج، مطويات سياحية).
- و يعد تصنيف "كولر" لدى البعض من أكمل الاقتراحات حتى الآن في ميدان الترجمة.

ب- تصنيف "رايس":

نظرية "أنواع النصوص" (كاتارينا رايس) من النظريات الرائدة، فهي تعتمد على علم اللغة النصي متمثلة مناهج تحليل الخطاب و المنهج السيميائي. و لتطبيق المبادئ النظرية لهذه العلوم على المترجم أن يدرك مفاهيم "البنية" و "الترابط" و "الاتساق" و "الالتحام النحوي للنص". و لا شك أن تدرب المترجم على أنماط مختلفة من النصوص من خلال تجزئتها إلى وظائف ضمن عملية التواصل من شأنه أن يكشف للمترجم عن وجود أدوات داخل النص على غرار أدوات الربط مثلا انطلاقا من البنية السطحية و العميقة.

و قبل التصنيف الذي وضعته مع "فرمير"، اقترحت "رايس" تنميطة يعد دراسة نظرية تطبيقية وفق الخلفية الوظيفية للنصوص، مستندة في ذلك إلى نموذج "بوهلر"، كما يلي:

- النصوص الإخبارية: و تتمثل وظيفتها الأساسية في التوصيل البسيط للحقائق مثل المعلومات و المعارف. و يكون "المضمون" هنا بؤرة التركيز الأولي في التوصيل و له بعد منطقي و جمالي.

- النصوص التعبيرية: و تتمثل وظيفتها الأساسية في تبليغ شكل لساني. و يتحدد في هذا النص التأليف الإبداعي للكاتب الذي يستعمل البعد الجمالي للغة.

- النصوص الندائية: و تتمثل وظيفتها الأساسية في توجيه نداء للقارئ حتى يتصرف بشكل معين. أي أنما نصوص فيها طلب الاستجابة السلوكية، و شكلها حوارى ينصب على الدعوة كما أنما تعتمد على الإقناع.

و لهذا التقسيم أهميته البالغة في مجال الترجمة. و قد كان هدف "رايس" من وراء تحديد أنماط النصوص هو وضع استراتيجيات يمكن انطلاقاً منها، تطبيق نظرية عامة على جميع أنواع النصوص في إطار المنهج الوظيفي. غير أن "رايس" تحفّف من صرامة اقتراحها باعترافها بتعدد الوظائف في النص الواحد وبأن إحدى الوظائف دائماً مهيمنة في النص.

و في عمل مشترك مع "فرمير"، تشير "رايس" إلى عدم إمكانية قياس كل الأنماط النصية بنفس المقياس. و هي ملاحظة ذات أهمية خاصة في مجال الترجمة. فيما أنه لا يمكن للمتحدث العادي الإلمام بكل أنماط النصوص، لا يمكن أن نتظر أو نطلب ذلك من المترجم. غير أننا يمكن أن نطلب منه أن يكون على دراية بوجودها و بالاختلافات المحتملة بين الثقافة المصدر و الثقافة الهدف.

- يقسم " رايس " و " فرمير " النصوص إلى ثلاثة أنماط أضافا إليها نمطا رابعا فيما بعد . أما الأنماط الثلاثة فهي : " أنماط النص المعقدة " و " أنماط النص البسيطة " و " أنماط النص المكحلة " . و أما النمط الرابع فهو " النصوص ذات الوسائط المتعددة " .
- النصوص المعقدة: كل الأنماط النصية " المتساهلة " نظرا لقدرتها على احتواء أنماط نصية أخرى- و ليس فقط الأدبية، إضافة إلى الروايات والتراجم، بل أيضا المذكرات والطلبات، الخ - . و من البديهي أن تتطلب ترجمة هذه الأنماط النصية المعقدة كفاءة نصية أوسع بكثير من ترجمة الأنماط النصية التي لا تقبل التأليف.
- النصوص البسيطة: هي التي تمت دراستها أكثر إلى حد الآن . و تُعد دراسة " أنماط النص البسيطة " هذه وتحليل مظاهرها الاصطلاحية في مختلف الثقافات ضرورية لتعلم الترجمة الذي يركز عموما على ترجمة النصوص ذات الاستعمال التطبيقي العملي.
- النصوص المكحلة: يتوقف صنف النمط النصي المكمل كليا على وجود نص أولي. قد نصنف في هذه المجموعة نصوصا مثل نقد الكتب، الخلاصة، المحاكاة الساخرة، التقليد، الكاريكاتور، المرسوم التطبيقي، الخ . إن الترجمة الملائمة لهذا النمط النصي جد صعبة في حالة عدم توفر النص الأولي؛ و في الوقت نفسه قد تبدو ترجمة نص " مكمل " غير معقولة نوعا ما، إذا لم يكن النص السابق أيضا في متناول قارئ النص النهائي.
- النصوص السمعية الوسائطية: كالأفلام و الإعلانات. وقد بررت " رايس " إضافة هذا النمط بالقول " إن النص المكتوب يمكن أن يكون جزءا من عرض التواصل الذي يتم تبليغه بشكل لاحق أو فوري بعدة وسائل مثل مزمنة الصور والأصوات في الأفلام والأغاني.

و خلاصة القول حول التصنيفات أعلاه "إن لكل نوع من النصوص معايير دراسة كالمعايير اللغوية الداخلية، و هي لفظية و دلالية و نحوية و أسلوبية، و المعايير الخارجة عن اللغة كالإنجاءات الشعرية. و رغم الترابط بينهما فإن أهميتها تتفاوت وفقا لنمط النص".

3- مناهج الترجمة:

تتسم دراسات الترجمة اليوم بوجهات نظر مختلفة حول الترجمة. إذ تقع أصولها في أغراض بحث و اهتمامات متعددة. و دوافع البحث المختلفة و التوقعات المتنوعة للاستفادة من نتائجه ينتج عنها تقسيم طبيعي لدراسات الترجمة. يمكن الإشارة إلى هذه التقسيمات المختلفة بـ "مناهج الترجمة". و المنهج بينة فكرية؛ و هو مجموعة من التصورات الذهنية المترابطة منطقيا عن موضوع ما قيد الدراسة. و قد يكون بنية افتراضية. و يعني ذلك أن المنهج يؤكد شيئا ما حول حقيقة واقعية (الترجمة) يحاول الباحث برهنته. و إذا ما اعتبرناه بنية افتراضية، فإن المنهج يدعي بأن له قوة وصفية و أخرى تفسيرية. و من الضروري عدم الخلط بين المناهج و النظريات. فالمناهج مثل الافتراضات، تشرح الواقع و تصفه. و لا يمكن للمنهج أن يصبح نظرية بدون توفير الدليل الذي يدعم ادعاءه بامتلاك القوة التفسيرية. و مثل ذلك الدليل مفقود في أغلب الأحيان في دراسات الترجمة. فعوضا عن الدليل العلمي، تعتمد العديد من هذه المناهج على أشكال أضعف من القوة و التأثير مثل: درجة تعقيد المناقشة أو الحجة، و مكانة مؤلف المنهج، أو مدى تلاحم الأنظمة الرسمية/ الشكلية. و من جهة أخرى نجد العلاقة بين نظرية الترجمة و ممارستها ضعيفة. كما أن نظام الترجمة ككل مازال يسعى إلى التأسيس إلى الدراسة الشاملة للترجمة. و يكمن القول إن المنهج النصي لدراسة الترجمة قد يقوم بهذه الوظيفة. فغياب مفهوم متكامل و متماسك، أدى إلى تمزيق دراسات الترجمة الذي لاحظته "نيومارك". و لا بد من مفاهيم متكاملة حتى تقوم نظرية متكاملة و منسجمة

لترجمة تجمع بين المناهج المختلفة للترجمة و أنواع الترجمة في بنية نظرية أوسع و أشمل. وفي هذا السياق يقول "نيومارك": " إنه ليس بالإمكان إيجاد نظرية متكاملة للترجمة". و هذا ما يراه البعض "نطرفا" ذلك أن كل منهج من مناهج الترجمة قادر على إثبات وجوده الشرعي من خلال اختيار أهدافه البحثية بدقة و استعمال نظام منهجي - نقدي واضح في وصفه للظاهرة ضمن ذلك الاختيار.

و عموما يميز نيومارك بين أساليب الترجمة التي تتمتع للجمل و لأصغر وحدات اللغة، و بين مناهج الترجمة التي تتعلق بمجمل النصوص، و يعد من هذه الأخيرة ثمانية، و يضيف إليها خمسة أخرى بحيث تصبح ثلاثة عشر منهجا، نستعرضها لأهميتها كما يلي:

- الترجمة كلمة بكلمة: و هو منهج يحترم فيه ترتيب الكلمات، و كل كلمة تترجم منفردة بمعناها الأكثر شيوعا، بغض النظر عن السياق، و الاصطلاحات الثقافية تترجم بحرفية دقيقة. و غرض هذا المنهج فك طلاسم نص صعب بترجمة تمهيدية.

- الترجمة الحرفية: و تعني الإتيان بصيغ نحوية مقابلة للتركييب النحوية في اللغة الأصل بينما تبقى ترجمة الكلمات منفردة و حرفية لا تحترم السياق، و يشترك هذا المنهج مع سابقه في كونه ترجمة أولية تبين صعوبات النص المراد ترجمته.

- الترجمة الأمانة: تسعى هذه الترجمة إلى خلق المعنى السياقي نفسه للأصل ضمن الحدود التي تسمح بها التراكييب النحوية للغة الهدف، كما يمكن بواسطة هذا المنهج نقل المصطلحات الثقافية و المحافظة على درجة الانحراف النحوي و المعجمي عن معايير اللغة الأصل في الترجمة، و الأمانة تتعلق أكثر بنوايا كاتب النص الأصلي و طريقة تحقيقه لنصه.

- الترجمة الدلالية: و هي تهتم أكثر بالقيمة الجمالية على حساب المعنى إذا اقتضى الأمر، و هي تفتح المجال واسعا أمام إبداع المترجم.

- الترجمة بتصرف: و هي التي يجيد فيها المترجم عن الأصل، و أغلب استعمالاتها في المسرحيات و الشعر، بحيث يحتفظ بالموضوع و الشخصيات و الحبكة، و تعاد صياغة النص بعد تحويل في المعطيات الثقافية من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف.
- الترجمة الحرة: و هي التي تأتي بالمحتوى دون الاكتراث بالشكل الذي صيغ فيه النص الأصلي، و غالبا ما تكون صياغتها أطول من النص الأصلي و ليست من الترجمة بشيء.
- الترجمة الاصطلاحية: و هي تهتم بإبراز "الرسالة" التي يكتنفها النص الأصلي، إلا أنها تترع إلى تشويه فروق المعاني بتفضيل التعابير العامة و الاصطلاحية الجاهزة حتى لو كانت غير موجودة في النص الأصلي.
- الترجمة التوصيلية: و هي ترجمة تسعى إلى الإتيان بالمعنى السياقي الدقيق للأصل بشكل يتوافق فيه المحتوى و اللغة على نحو مقبول و مفهوم لدى القراء. أما المناهج الخمسة الأخرى فهي:
- ترجمة المصلحة (الخدمات): تتم من لغة الاستعمال الاعتيادي إلى لغة أخرى. و يقر "نيومارك" بأن هذا المصطلح غير شائع و لكن لضرورة استعمال هذا النوع من الترجمة في كثير من البلدان يتحتم إيجاد مصطلح لها.
- الترجمة النثرية: و تتمثل في ترجمة القصائد و الدراما الشعرية في فقرات تدخل فيها عمليات التنقيط، و يحتفظ فيها بثقافة اللغة الأصل، بينما يختفي فيها كل تأثير صوتي بحيث يمكن للقارئ أن يتذوق معنى العمل الأصلي باستحسان دون أن يعيش تأثير العمل الأصلي نفسه على قرائه. و غالبا ما تنتشر الترجمة النثرية متوازية مع الأصل لتسهيل الولوج إلى خوافي النص من خلال المقارنة المتأنية للكلمات بين النصين.

- الترجمة التبليغية: و هي تطرح كل المعلومات الموجودة في نص غير أدبي، تعاد صياغته أحيانا بصفة أكثر منطقية و ببعض الاختصار أحيانا أخرى، من دون أن يأخذ ذلك شكل فقرة.

- الترجمة التفهيمية أو الإدراكية: و تتمثل في نقل المعلومات المتضمنة في نص اللغة الأصل عن طريق إحداث إبدال في التراكيب النحوية للغة الأصل إلى مكافئاتها الاعتيادية في اللغة الهدف مع تقليص كل التعابير المجازية و صبها في قوالب حرفية، مما يشكل ترجمة تمهيدية بالنسبة إلى النصوص الصعبة و المعقدة.

- الترجمة الأكاديمية: تحول هذه الترجمة النص الأصلي إلى نص منمق جزل في اللغة الهدف دون أن يكون لهذا التتميق وجود في النص الأصلي كما أنها تضيف على تعابير الكاتب طابعا من العاميات المبتكرة و هي ترجمة لا تزال تمارس في بعض الجامعات البريطانية.

• يشير "بيتر نيومارك" في معرض تحليله لهذه المناهج إلى أن الترجمة الدلالية و التوصيلية هما اللتان تحققان الهدفين الرئيسيين للترجمة: أولهما الدقة و ثانيهما الإيجاز، بحيث يستعمل المنهج الأول للنصوص التعبيرية و المنهج الثاني للنصوص التبليغية و الدعائية. غير أن ما يفهم من كلمة "منهج" هو المسار الذي يمكن أن يسلكه المترجم في ترجمته تبعا للنص الذي يتعامل معه. أما ما قام به "نيومارك" فلا يعدو لدى البعض كونه وصفا لأنواع الترجمة مستنبطا من ترجمات منتهية. و تقسيمه هذا قد يفيد في نظرية الترجمة و ليس عملية الترجمة، و يمكن لهذه المناهج أن تحدد الخطوط العريضة لمنحى الترجمة في حالة إلمام المترجم بالدراسات النظرية حول الترجمة و مشاكلها.

4- النمط النصي و منهج الترجمة:

بعد استعراض مختلف الأنماط النصية و كذا أبرز مناهج الترجمة لدى المنظرين، يتبادر إلى الذهن تساؤل في غاية الأهمية: هل معرفة النمط النصي تكفي وحدها لتحديد المنهج أو الاستراتيجية الأمثل للترجمة؟ الأرجح أن تكون الإجابة "لا". إن عملية تحليل النص تقود حتما إلى تفكيك الصعوبات اللغوية في مستوى الشكل و المضمون، لكنها لا تحسم بالضرورة المنهج أو الاستراتيجية الأنسب لترجمته ذلك أنه -أي النص- نادرا ما يكون متجانسا كما أسلفنا الذكر؛ إذ غالبا ما يشتمل على مقاطع مختلفة. بمعنى أننا قد نصادف خصائص لعدة أنماط نصية مجتمعة في نص واحد، الأمر الذي يجعل المترجم لا يكتفي بمنهج واحد لترجمته. و النص الاقتصادي من الأمثلة على ذلك باعتقادنا بحكم تخصصنا في مجال الاقتصاد و المالية. و سنحاول في العنصر الموالي توضيح ذلك.

5- النص الاقتصادي و منهج الترجمة: تحليل و تمثيل:

لغة النص الاقتصادي أو اللغة الاقتصادية و المالية أو لغة الاقتصاد و المال كما تسمى هي لغة متخصصة يتحكم بها أهل الاختصاص من علماء و باحثين أكثر من غيرهم، يستخدمونها في كتاباتهم و كتبهم، وفي أبحاثهم ومقالاتهم، وفي متدياتهم ومناقشاتهم. و تتخذ المعلومة الاقتصادية و المالية أشكالا عدة كالتحليلات والتقارير والدراسات و المقالات و البيانات الصحفية و الكتب ذات الطابع الاقتصادي و المالي التي تنشر أغلبها على مواقع الانترنت لتصبح واجهة للمؤسسة التي قامت بنشرها. و يتميز أسلوب النص الاقتصادي عموما بالاختصار و الشرح و الدقة في تبليغ المعلومة، و بالأرقام و البيانات واستعمال المصطلحات و الاختصارات؛ و هو أسلوب إخباري إجمالا قد تناسبه أكثر استراتيجيات الترجمة كلمة بكلمة أو الترجمة الحرفية أو الترجمة التوصيلية. إلا أن هذه ليست قاعدة عامة، فالإقتصاد لا يمكن

بأي حال فصله عن المجتمع، و لغته تعبير حقيقي عن تطلعات الناس وأحاسيسهم. وهي أيضا لغة ذات تقنية عالية لم تستطع حتى الترجمة الآلية فك رموزها. كما أنها لغة تعي واقعا دائما التطور، لذا فهي لا تكتفي بمصطلحاتها التقنية بل تسعى إلى توليد مستجدات كثيرة كلما اقتضت التطورات الاقتصادية والمالية ذلك، على غرار: "*net économie* اقتصاد. نت"، "*dot.com companies*" شركات دوت. كوم"، أو "*sociétés point com*" شركات نقطة كوم" - وتعني الشركات التي تؤسس بنجاحها من خلال الشبكة العنكبوتية. أضف إلى هذا أنها لغة منفتحة تواكب التطورات الحاصلة في عالم الاقتصاد لتكيف معها. كما أن بعدها الجمالي يكمن في استعارتها مصطلحات الحقول المعرفية الأخرى لإسقاطها على موضوعاتها المختلفة. فبعض النصوص الاقتصادية تغطي عليها جمل و عبارات تسمح بشخصنة حقيقية للاقتصاد على غرار: "*le marché joue au yo-yo*" و معناها على التوالي: "السوق يترنح صعودا و نزولا أي سوق متقلب" و "سوق في أوج ازدهاره" - ترجمتنا. بالإضافة إلى التعابير الحربية (خرق جبهة البطالة) "*percée sur le front du chômage*" أو الطبية (انتكاس الأسعار) "*rechute des cours*" ، علاج الصدمة "*traitement de choc*"، سوق في عز نقاهته "*marché en pleine convalescence*" أو تعابير الأحوال الجوية (*tempête*) عاصفة قلب على الأسواق) و لاسيما تعابير الملاحة (*sur les marchés*) تضييع الوجهة أو الهدف "*perdre le nord*" ، تخفيف الحمولة أو العبء "*lâcher du lest*". كذلك يشبه السوق غالبا بسيارة قد تتعرض للعطب: "*tomber en panne*". و هنا تتغير إستراتيجية الترجمة، فالترجمة الحرفية مثلا قد لا تفي بالغرض من العملية الترجمة، ذلك أن المترجم مطالب بفهم معاني الصور المجازية ضمن السياق الاقتصادي الذي وردت فيه، ثم نقلها إلى اللغة

الهدف مع ضرورة الحفاظ قدر المستطاع على البعد الجمالي فيها. لذا فهو قد يلجأ إلى الترجمة الدلالية و قد تفيد التوصيلية أيضا. و في سياق الصورة و المجاز كذلك نذكر أن الكثير من الباحثين يشبهون الكلمة بالعملة من باب الاستعارة، فالنقود واللغة موضوعان يتسم البحث فيهما بدرجة من العمق والتجديد توازي عمومية استعمالهما، وهما تقومان على أسس مشتركة. فثروة المعرفة الإنسانية كلها تقوم على تبادل الكلمات؛ ومن ناحية أخرى ترتبط الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالنقود بوصفها معيارا للقيمة. كذلك ينظر إلى السوق واللغة بوصفهما نظامين متماثلين، حيث أن اللغة هي نتاج العمل الجماعي والثروة الاجتماعية المتراكمة كما أن تداول الألفاظ بين الأفراد يشبه تداول السلع في السوق. كما يشبه العالم اليوم في ظل العولمة - أفرادا و مؤسسات- بقرية كونية أنابيبها البنوك و مياهها النقود إلى غير ذلك من الصور التي لا حصر لها. و بالعودة إلى بعض الأمثلة المذكورة أعلاه: فعبارة « *marché en pleine euphorie* » تعني حرفيا "سوق في عز نشوته" و هي صورة نفهم منها أن السوق في أوج ازدهاره أو في أفضل حالاته من الرخاء و الاستقرار (استقرار الأسعار أو استقرار العرض و الطلب على السلع...). و عبارة « *lâcher du lest* » تعني في سياقها اللغوي العام "التخفيف من الغلو" أو "التضحية لتجنب كارثة" - و في مجال الملاحة، كلمة « *lest* » تعني ذلك الثقل الذي يوضع في السفينة أو المنطاد لحفظ توازنهما. و قد استعارت لغة الاقتصاد هذه الصورة التي قد تعني في هذه الحالة تقليص الإنفاق أو تخفيض التكاليف حفاظا على التوازن المالي، و قد تعني أيضا التضحية بعدد من عمال مصنع مثلا و ذلك بتسريحهم لتجنب كارثة الإفلاس و الإغلاق... و هذا مرهون بالسياق.

العمل الاجتماعي والبروليتاريا والإقطاع والملكية ... إلى غير ذلك. و من أقوال "ماركس" الشهيرة نورد بعضها مترجمة:

"إن الوسائل التي تريد الرأسمالية بها الإنتاج تتمثل في تحويل العامل إلى شبح إنسان؛ تحط من إنسانيته إلى حد تحويله إلى آلة؛ تدمر المضمون الحقيقي لعمله بتحويل هذا العمل إلى نوع من التعذيب، وتدفعه إلى الاغتراب عن الطاقات الفكرية الكامنة في صيرورة العمل... إنها تحول زمن حياته إلى زمن للعمل، وتجرح زوجته و أطفاله إلى مطحنة الرأسمالية الساحقة".

و يقول أيضا: "تحدد الأجور الصراع الضاري بين الرأسمالي والعامل. ويكسب المعركة الرأسمالي حتما. يستطيع الرأسمالي الاستمرار في الحياة مدة أطول من دون العامل، لكن العامل لا يقدر على ذلك من دون الرأسمالي. و إن لم يكن رأس المال سوى الثمار المتراكمة لجهود العمال، فإن رؤوس أموال البلاد ودخلها لا تنمو إلا عندما تستلب من العمال منتجهم أكثر فأكثر، وعندما يواجه العامل باضطراب عمله كملكية غريبة عنه وتتركز تصاعديا وسائل وجود العمال وجهودهم بأيدي الرأسمالي. و حتى في أكثر الظروف الاقتصادية ملائمة، فإن مصير العامل سيواجه حتما ظروف كدح أشد، و موتا مبكرا، و اختزاله إلى آلة، و عبودية لرأس المال. و يصبح عمله كائنا خارجيا مستقلا عنه وغريبا عليه، و يبدأ بمواجهة العامل كلطة ذات حكم ذاتي، والحياة التي نفخها العامل في الشيء تواجهه ككائن عدواني وغريب". هذه الصورة استمدتها "ماركس" من رواية "فرانكشتاين" (كتبها "ماري شيلي" زوجة الشاعر الشهير "شيلي"). و هذه الرواية أحد الأعمال المحببة إلى نفس ماركس، وتحكي قصة رجل يخلق في مخبره وحشا، فيقلب الوحش ضد صانعه. و في مثال آخر جعل رأس المال يتكلم عبر صوت "شابلوك" (مسرحية تاجر البندقية لشكسبير) ميرا استغلال عمل الأطفال في المصانع. فعندما احتج العمال ومفتشو المصانع عليه مستندين إلى قيم أخلاقية، تصدى "رأس المال" قائلا: "أنا وحدي

من جهة أخرى، تزخر الأدبيات الاقتصادية بالنصوص الخاصة بالفكر الاقتصادي كالاقتصاد السياسي و فلسفة الاقتصاد و المذاهب الاقتصادية و غيرها. و هي نصوص تختلط فيها الأرقام و البيانات و نظريات الاقتصاد بالإيديولوجيات السياسية و المذاهب الفلسفية و الأدبية و المعتقدات الدينية، وهي تصنف كذلك على أنها نصوص اقتصادية، إلا أنها تطرح إشكالات عديدة عند الترجمة يصعب معها تحديد الاستراتيجية الأمثل التي ينبغي تبنيها بالإضافة إلى كونها تتطلب معارف غير لسانية معتبرة في مجالات أخرى ذات صلة وثيقة بالاقتصاد - و نعتي الأدب و العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع و التاريخ و الفلسفة و غيرها. و هي أيضا نصوص لا تخلو من الإيحاء و الذاتية. و لعل أبرز مثال نقدمه على ذلك هو فكر "كارل ماركس" الذي استترف أقلام الكثير من الباحثين في علم الاقتصاد و المترجمين على حد السواء. إن "الماركسية" هي منهج أفكار "ماركس" و مذهبه. لقد واكب "ماركس" التيارات الفكرية الرئيسية الثلاثة الرائجة في القرن التاسع عشر و هي: الفلسفة الكلاسيكية الألمانية و الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي و الاشتراكية الفرنسية المرتبطة بالتعاليم الثورية الفرنسية بوجه عام. فتلورت أفكاره - في عز الرأسمالية المطلقة- في ما يعرف "بالمادية الحديثة و الاشتراكية العلمية المعاصرة بوصفها نظرية الحركة العمالية". و قد قاطع منذ البداية "مثالية هيغل" و ساند بقوة "مادية فيورباخ" التي قامت ضد الدين و اللاهوت و الميتافيزيقا. و يتلخص مذهب "كارل ماركس" الاقتصادي حسب ما قاله في مقدمة كتابه "رأس المال" في "السعي إلى الكشف عن القانون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث، أي المجتمع الرأسمالي البرجوازي. فدراسة علاقات الإنتاج في هذا المجتمع المحدد تاريخيا من حيث ولادة هذه العلاقات و تطورها و زوالها هي صلب مذهب "ماركس" الاقتصادي الذي تناول بإسهاب مسائل السلعة و القيمة و رأس المال و

العمل الاجتماعي و البروليتاريا و الإقطاع و الملكية ... إلى غير ذلك. و من أقوال "ماركس" الشهيرة نورد بعضها مترجمة:

"إن الوسائل التي تزيد الرأسمالية بها الإنتاج تتمثل في تحويل العامل إلى شبح إنسان؛ تحط من إنسانيته إلى حد تحويله إلى آلة؛ تدمر المضمون الحقيقي لعمله بتحويل هذا العمل إلى نوع من التعذيب، وتدفعه إلى الاغتراب عن الطاقات الفكرية الكامنة في صيرورة العمل... إما تحول زمن حياته إلى زمن للعمل، وتجر زوجته و أطفاله إلى مطحنة الرأسمالية الساحقة".

و يقول أيضا: "تحدد الأجور الصراع الضاري بين الرأسمالي والعامل. ويكسب المعركة الرأسمالي حتما. يستطيع الرأسمالي الاستمرار في الحياة مدة أطول من دون العامل، لكن العامل لا يقدر على ذلك من دون الرأسمالي. و إن لم يكن رأس المال سوى الثمار المتراكمة لجهود العمال، فإن رؤوس أموال البلاد ودخلها لا تنمو إلا عندما تستلب من العمال متحاقم أكثر فأكثر، وعندما يواجه العامل باضطراب عمله كملكية غريبة عنه وتتركز تصاعديا وسائل وجود العمال وجهودهم بأيدي الرأسمالي. و حتى في أكثر الظروف الاقتصادية ملائمة، فإن مصير العامل سيواجه حتما ظروف كدح أشد، و موتا مبكرا، و اختزاله إلى آلة، و عبودية لرأس المال. و يصبح عمله كائنا خارجيا مستقلا عنه وغريبا عليه، و يبدأ بمواجهة العامل كسلطة ذات حكم ذاتي، والحياة التي نفخها العامل في الشيء تواجهه ككائن عدواني وغريب". هذه الصورة استمدتها "ماركس" من رواية "فرانكشتاين" (كتبها "ماري شيلي" زوجة الشاعر الشهير "شيلي"). و هذه الرواية أحد الأعمال المحببة إلى نفس ماركس، وتحكي قصة رجل يخلق في مخبره وحشا، فيقلب الوحش ضد صانعه. و في مثال آخر جعل رأس المال يتكلم عبر صوت "شايلوك" (مسرحية تاجر البندقية لشكسبير) ميرا استغلال عمل الأطفال في المصانع. فعندما احتج العمال ومفتشو المصانع عليه مستندين إلى قيم أخلاقية، تصدى "رأس المال" قائلا: "أنا وحدي

المسؤول عن أفعالي... أريد تطبيق القانون وتوقيع العقوبة ... وتطبيق أحكام العقد".

كما كان "كارل ماركس" ناقما على النقود التي صورها قائلا: "إنها البغي المشتركة بين البشر" و إنها " هي من يخرب المدن، من ينفي الرجال من أوطانهم؛ تغوي وتخدع الأرواح الفاتكة الصفاء و تدفع الناس إلى طريق الخسة والعار"... إلى غير ذلك من الأمثلة.

و هكذا تبدو نصوص الفكر الاقتصادي عموما ذات أبعاد عديدة فلسفية و تاريخية و أدبية و اجتماعية و غيرها تستدعي أن يقف المترجم عندها بتأن و حذر، و أن يستحضر كل معارفه غير اللسانية الضرورية لإنجاح الترجمة. و إن لم يكن يمتلك هذه المعارف فحري به أن يبحث و ينقب في الكتب و المراجع حتى "يطوّق" موضوع النص و يفهم أبعاده. و الأرجح أن يلجأ المترجم في هذا النوع من النصوص إلى مناهج الترجمة التفهيمية و الإدراكية و التبليغية إلى جانب التوصيلية و ربما يجره تعقيد النص إلى الترجمة الحرة أحيانا.

و عليه جاز لنا القول ختاماً إن الاقتصادي يتحدث بلغة الاجتماعيين و يحلل بلغة الإحصائيين و الرياضيين، كما يفسر الظواهر بلغة الفلاسفة والمنظرين، و يصور المعاني بلغة الأدباء المبدعين. و المترجم قد يصادف هذه "اللغات" مجتمعة في نص واحد، و عليه توخي الحذر في التعامل معها بغية تحديد المنهج أو المناهج الأنسب لإنجاح الترجمة.

المراجع المعتمدة:

أ- الكتب:

- 1- الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008.
- 2- بيوض، إنعام، الترجمة الأدبية، مشاكل و حلول، منشورات ANEP، الجزائر- دار الفارابي، بيروت، ط1، 2003.
- 3- جالبريت، جون كينيث، تاريخ الفكر الاقتصادي، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، عالم المعرفة (مسلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب)، الكويت، سبتمبر 2000.
- 4- دودين، ماجد سليمان، دليل الترجمة الاقتصادية و المالية، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009.
- 5- كحيل، سعيدة، نظريات الترجمة: بحث في الماهية و الممارسة، مجلة الآداب العالمية، العدد 135، جانفي 2008.
- 6- كولماس، فلوريان، اللغة و الاقتصاد، ترجمة د. أحمد عوض، عالم المعرفة (مسلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب)، الكويت، نوفمبر 2000.
- 7- نيوبرت، ألبرت و شريف، غريغوري، الترجمة و علوم النص، ترجمة أ.د محي الدين حميدي، النشر العلمي و المطابع، جامعة الملك سعود، ط2، 2008.
- 8- وين، فرانسيس، رأس المال لكارل ماركس - سيرة، ترجمة نائر ديب (ضمن سلسلة "كتب هزت العالم")، العبيكان للنشر، 2007.

ب - المعاجم و القواميس:

1- IDRISS, Soheil, *Dictionnaire Français- Arabe*, Dar Aladab, Beirout, 37^{me} édition, 2007.

ج - مقالات:

1- لينين، فلاديمير، "كارل ماركس: سيرة مختصرة و عرض للماركسية"، مقال مترجم إلى اللغة العربية، منشورات دار صامد، تونس.

2- وين، فرانسيس، كارل ماركس: قصة حياة، ترجمة سعدي عبد اللطيف (الفصل الثاني: الحمل الطويل)، الحوار المتمدن، العدد 3877، لندن، أكتوبر 2012.

3- HOUBERT, Frédéric, Article intitulé : « *Problématique de la traduction économique et financière* », (www.transtationjournal.net).

د- مذكرات و رسائل جامعية:

بن عيسى، صليحة، "معايير اختيار النصوص المستعملة لتكوين المترجمين"، رسالة دكتوراه، قسم الترجمة، جامعة الجزائر.